تحضير الأرواح

لقد شغل «استحضار الأرواح» المزعوم أفكار الناس في الشرق والغرب، فكتبت فيه مقالات، بلغات مختلفات، نُشرت في مجلات عربية وغير عربية، وألفت فيه مؤلفات، وبحث فيه باحثون، وجربه مجربون، اهتدى به ذلك العقلاء منهم إلى أنه كذب وبهتان، ودعوة إلى كفر وطغيان.

إن استحضار الأرواح، الذي يزعمه الزاعمون، كذبٌ ودجل وخداع، وما الأرواح المزعومة إلا شياطين تتلاعب بالإنسان وتخادعه.

وليس في استطاعة أحد، أن يستحضر روح أحد؛ فالأرواح بعد أن تفارق الأجساد، تصير إلى عالم البرزخ.

ثم هي إما في نعيم أو في عذاب، وهي في شغل شاغل، عما يدعيه مستحضرو الأرواح.

هذه الدعوات التي تزعم أن بإمكانها تحضير الأرواح اتخذها شياطين الجن والإنس سبيلاً لإفساد الدين، فهذه الأرواح التي تحضر وهي في الحقيقة تعارض الحق كل المعارضة.

هل يمكن استحضار الأرواح؟

إن التأمل في النصوص التي وردت في هذا تجعل الباحث يعتقد جازماً أن ذلك مستحيل، فقد أخبرنا الله تعالى أن الروح من عالم الغيب

الذي لا سبيل إلى إدراكه ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

وأخبر أنه يتوفى الأنفس وأنه يمسك النفوس عند الموت ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] وقد وكل الله بالأنفس ملائكة يعذبونها إن كانت شقية كافرة، وينعمونها إن كانت صالحة تقية.

وقد بين لنا الرسول ﷺ كيف يقبض ملك الموت الأرواح وما يفعل بها بعد ذلك.

والأرواح إذ كانت ممسكة عند ربها موكل بها حفظة أقوياء مهرة، فلا يمكن أن تتفلت منهم وتهرب لتأتي إلى هؤلاء الذين يتلاعبون بعقول العباد.

قلت إنما هي شياطين فقط؛ وهذا كان يحدث في الماضي ولا يزال يحدث فإبليس جاء المشركين في غزوة بدر في صورة سراقة بن مالك ويحكي ابن تيمية من هذا شيئاً كثيراً. يقول ابن تيمية عن نفسه: «إن طائفة من أصحابي ذكروا أنهم استغاثوا بي في شدائد أصابتهم، أحدهم كان خائفاً من الأرمن، والآخر كان خائفاً من التتر، فذكر كل منهم أنه لما استغاث بي رآني في الهواء وقد دفعت عنه عدوه، فأخبرتهم (المخبر ابن تيمية) أني لم أشعر بهذا، ولا دفعت عنكم شيئاً، وإنما هذا شيطان تمثل أحدكم فأغواه لما أشرك بالله تعالى».

يقول: «وهكذا جرى لأكثر من واحد من أصحابنا المشايخ مع أصحابهم، يستغيث أحدهم بالشيخ فيرى الشيخ قد جاء وقضى حاجته، ويقول ذلك الشيخ: إني لم أعلم بهذا، فيتبين أن ذلك كان شيطاناً».

ويقول أيضاً: «وقد قلت لبعض أصحابنا لما ذكر لي أنه استغاث باثنين كان يعتقدهما وأنهما أتيناه في الهواء، وقالا له: طيب قلبك، نحن ندفع هؤلاء عنك ونفعل ونصنع.

قلت له: فهل كان من ذلك شيء؟ قال: لا. فكان هذا مما دله على أنهما شيطانان، فإن الشياطين وإن كانوا يخبرون الإنسان بقضية أو قصة فيها صدق فإنهم يكذبون أضعاف ذلك، كما كانت الجن يخبرون الكهان».

الجن وعلم الغيب:

شاع لدى كثير من الناس أن الجن يعلمون الغيب، ومردة الجنّ يحاولون أن يؤكدوا هذا الفهم الخاطىء عند البشر، وقد أبان الله للناس كذب هذه الدعوى عندما قبض روح نبيه سليمان ـ وكان قد سخر له الجن يعملون بين يديه بأمره ـ وأبقى جسده منتصباً، واستمر الجن يعملون، وهم لا يدرون بأمر وفاته، حتى أكلت دابة الأرض عصاه المتكىء عليها، فسقط، فتبين للناس كذبهم في دعواهم أنهم يعلمون الغيب: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ١٤].

العرافون والكهان:

وبذلك يعلم عظم الخطأ الذي يقع فيه عوام الناس باعتقادهم أن بعض البشر كالعرافين والكهان يعلمون الغيب، فتراهم يذهبون إليهم يسألونهم عن أمور حدثت من سرقات وجنايات، وأمور لم تحدث مما سيكون لهم ولأبنائهم، ولقد خاب السائل والمسؤول، فالغيث علمه عند الله، لا يظهر الله عليه إلا من شاء من عباده الصالحين: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٨].

والاعتقاد بأن فلاناً يعلم الغيب اعتقاد آثم ضال يخالف العقيدة الإسلامية الصحيحة التي تجعل علم الغيب لله وحده.

أما إذا تعدى الأمر إلى استفتاء أدعياء الغيب فإن الجريمة تصبح من العظم بمكان، ففي صحيح مسلم ومسند أحمد عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**».

وقال: «**من أتى عرافاً أو كاهناً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**».

قال شارح العقيدة الطحاوية: (والمنجم يدخل في اسم (العراف) عند بعض العلماء، وعند بعضهم هو في معناه ـ ثم قال ـ فإذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسؤول؟) ومراده إذا كان السائل لا تقبل له صلاة أربعين يوماً، وإذا كان الذي يصدق الكاهن والعراف يكفر بالمنزل على الرسول ﷺ فكيف يكون حكم الكاهن والعراف؟

سؤال العرافين والكهنة على وجه الامتحان:

يرى ابن تيمية أن سؤال الكهنة بقصد امتحان حالهم، واختبار باطنهم، ليميز صدقهم من كذبهم ـ جائز، واستدل بحديث الصحيحين: «أن النبي ﷺ سأل ابن صياد، فقال: **ما يأتيك؟** فقال: يأتيني صادق وكاذب. قال: **ما ترى؟** قال: أرى عرشاً على الماء، قال: **فإني قد خبأت لك خبيئاً**، قال: الدخ، الدخ. قال: **اخسأ، فلن تعدو قدرك، فإنما أنت من إخوان الكهان**». فأنت ترى أن الرسول ﷺ سأل هذا الدعي ليكشف أمره ويبين للناس حاله.

المنجمون:

وصناعة التنجيم التي مضمونها: الأحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية أو التمريح بين القرى الفلكية والفوايل الأرضية: صناعة محرمة بالكتاب والسنة؛ بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١] قال عمر بن الخطاب: الجبت السحر. (شرح العقيدة الطحاوية ٥٦٨).

شبهة:

قد يزعم قائل أن العرافين والكهنة والمنجمين يصدقون أحياناً، والجواب: أن صدقهم في كثير من الأحيان يكون من باب التلبيس على الناس، فإنهم يقولون للناس كلاماً عاماً يحتمل وجوهاً من التفسير، فإذا حدث الأمر فإنه يفسره لهم تفسيراً يوافق ما قال.

وقدهم في الأمور الجزئية إمّا أنه يرجع إلى الفراسة والتنبؤ، وإما أن تكون هذه الكلمة الصادقة مما خطفه الجن من خبر السماء ففي الصحيحين ومسند أحمد عن عائشة، قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الكهان؟ فقال: «**ليسوا بشيء**». فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثون بالشيء يكون حقاً! فقال: رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني، فيقرها في أذن وليه، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة**». وإذا كانت القضية التي صدق فيها من الأمور التي حدثت كمعرفته بالسارق، أو معرفته باسم الشخص الذي يقدمن عليه لأول مرة وأسماء أبنائه وأسرته، فهذا قد يكون بحيلة ما، كالذي يضع شخصاً ليسأل الناس وتكون عنده وسيلة لاستماع أقوالهم قبل أن يمثلوا بين يديه، أو يكون هذا من فعل الشيطان، وعلم الشياطين بالأمور التي حدثت ووقعت ليس بالأمر المستغرب.

الكهنة رسل الشيطان:

يقول ابن القيم (الإغاثة ٢٧/١): (الكهنة رسل الشياطين؛ لأن المشركين يهرعون إليهم ويفزعون إليهم في أمورهم ويصدقونهم، ويتحاكمون إليهم، ويرضون بحكمهم، كما يقع لأتباع الرسل بالرسل. فإنهم يعتقدون أنهم يعلمون الغيب، ويخبرون عن المغيبات التي لا يعرفها غيرهم، فهم عند المشركين بهم بمنزلة الرسل، فالكهنة رسل الشيطان حقيقة، أرسلهم

إلى حزبه من المشركين وشبههم بالرسل الصادقين، حتى استجاب لهم حزبه، ومثل رسل الله بهم لينفر عنهم، ويجعل رسله هم الصادقين العالمين بالغيب، ولما كان بني النوعين أعظم التضاد قال رسول الله ﷺ: «**من أتى كاهناً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**».

فإن الناس قسمان: أتباع الكهنة، وأتباع الرسل، فلا يجتمع في العبد أن يكون من هؤلاء وهؤلاء، بل يبعد عن الرسول ﷺ بقدر قربه من الكاهن، ويكذب الرسول بقدر تصديقه للكاهن.

أقول: ومن يدرس تواريخ الأمم يعلم أن الكهان والسحرة كانوا يقومون مقام الرسل، ولكنهم رسل الشيطان، فالسحرة والكهنة كانت لهم الكلمة المسموعة في أقوالهم، يحلون ويحرمون، ويأخذون المال، ويأمرون بأنواع من العبادة والطقوس ترضي الشياطين، ويأمرون بقطيعة الأرحام، وانتهاك الأعراض، وقد بين شيئاً من ذلك العقاد في كتابه (إبليس).

واجب الأمة نحو هؤلاء:

ما يدعيه المنجمون، والعرافون، والسحرة، ضلال كبير ومنكر لا يستهان به، وعلى الذين أعطاهم الله دينه، وعلمهم كتابه وسنة نبيه أن ينكروا هذا الضلال بالقول، ويضحوا هذا الباطل بالحجة والبرهان، وعلى الذين في يدهم السلطة أن يأخذوا على يد هؤلاء الذين يدعون الغيب من العرافين والكهنة وضاربي الرمل والحصى، والناظرين في اليد (والفنجان)، وعليهم أن يمنعوا نشر خزعبلاتهم في الصحف والمجلات، وتعاقب من يتظاهر ببضاعته وضلالته في الطرقات، وقد ذكر الله بني إسرائيل لتركهم التناهي عن المنكر: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٩].

وفي السنن عن النبي ﷺ برواية الصديق رضي الله عنه أنه قال: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أو شك أن يعمهم الله بعقاب منه**».

❋ ❋ ❋